الفصل الثاني:
الظواهر الروحية الفيزيقية

يقول الله تبارك وتعالى في محكم آياته:

قال تعالى:{ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ }
[المائدة: ١١١ - ١١٥].

والمتأمل في هذه الآيات يرى أن طلب الحواريين بعد إقرارهم بالإيمان بالله ورسوله من المسيح عليه السلام أن يسأل الله ربه بأن ينزل عليهم مائدة من السماء يأكلون منها لتطمئن بذلك قلوبهم ويتم إيمانهم ويتأكدوا من أنه قد صدقهم قد قوبل بالامتعاض والشك في إيمانهم فبادرهم على الفور بالقول كما جاء في ذكره في القرآن المجيد على لسانه:{ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [المائدة: ١١٢]، كما يلاحظ المتأمل أيضاً أن نزول هذه المائدة كآية كان بناء على دعوة رسوله عيسى.. وكانت مصحوبة بإنذار وتحذير شديدين.. بأن من يكفر بعد نزول هذه المائدة كآية بوحدانية الله وأحديته وبرساله رسوله عيسى عليه السلام أو ينحرف بها عن الصراط المستقيم فإن الله عز وجل سيعذبه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، ومن هنا قد

يتبين لنا ما قد نستطيع أن نتلمسه من حكمة وراء إرادة العلي القدير سبحانه وتعالى في أن يظهر في خاتم رسالاته على يد النبي محمد صلى الله عليه وسلم البراهين العقلية لإثبات وجود الخالق العظيم الواحد الأوحد الأحد للكون.. والابتعاد قدر الإمكان عن الظواهر الفيزيقية أو ما يسميه الناس بالمعجزات الحسية.. إلا إذا ألحت الضرورة بذلك وأملته.. إذ لا يخفى أن مثل هذه الظواهر الذي يعتبرها معظم الناس قليلو الإيمان أعظم البراهين تعتبرها الأقلية الراقية العالية الإيمان أدنى البراهين.. ومن الملفت للنظر أننا نجد أيضاً رفضاً لهذه الظواهر الفيزيقية أو المعجزات الحسية لدى علماء الروح الحديثين وتزخر مؤلفاتهم بهذا الرفض معتقدين بأنه من أدنى البراهين.. لإثبات وجود خالق للكون أوحد باعتبار أن العالم الروحي ما هو إلا عالم بالفكر وليس بالمادة..

يقول الدكتور على راضي:

(إن الظواهر الفيزيقية التي يعتبرها معظم الناس أعظم البراهين تعتبرها الأرواح الراقية أحط البراهين.. وكثير من الأرواح المرشدة التي تزور الجلسة الروحية الآن تأبى أن تقوم بواحدة منها وتكتفي في جلساتها بما يسمى إعطاء تعاليم.. أي محاضرات عن الكون وخالقه العظيم وطبقاته المنظورة وغير المنظورة.. وإذا ما ألح الحاضرون على مشاهدة ظاهرة فيزيقية تخلت هذه الأرواح العالية وأرسلت من هي أدنى منها.. ذلك لأن المادة الفيزيقية هي أقرب إلى تكوين الأرواح الأدنى منها إلى الأرواح العالية).

ويقول:

(والمعجزة قد يقوم بها النبي والساحر على السواء، ألم يقم

طليحة زعيم بني أسد في بلاد نجد ويزعم أنه نبي ورسول وكانت حجته في ذلك قدرته على التنبؤ بموضوع ماء في الصحراء عندما اشتد بقومه العطش؟ وألم يقم الأسود صاحب اليمن بادعاء الكهانة ومعرفة السحر واتخذوا هذا سلاحاً للدعوة لنفسه؟ والمعجزة المادية قد تقنع الناس مؤقتاً وقد لا يقنعون وينكصون عن صناعها.. وهو ما حدث من السيد المسيح ﷺ فرغم ما أتي به بني إسرائيل من كم من هذه المعجزات إلا أن الأمر انتهى باتهامه بالسحر والشعوذة.. والكفر به وبرسالته.. واتهام أمه السيدة مريم عليها السلام بالفحشاء ولم يبق على مر الزمان من رسالته عليه السلام إلا مواعظه وكلماته..)

ويقول الدكتور هيكل رحمه الله في كتابه " حياة محمد " :

" إن كتب السيرة جميعاً لتذكر أن طائفة من الذين آمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم قبل الإسراء قد ارتدت عن إيمانها حين ذكر النبي أن الله أسرى به ليلاً.. ولم يؤمن سراقة بن جعثم لما رأى محمداً مع ماروت كتب السيرة من معجزة الله في سراقة وفي جواده.. ولم يذكر التاريخ أن مشركاً آمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم لمعجزة من المعجزات. ولكن لما كانت عقليات البشر على مستويات مختلفة والمخطئون منهم يطلبون دائماً من أنبيائهم أن يظهروا لهم براهين مادية.. لذا كان على مر التاريخ براهين من هذا النوع لهذا المستوى من البشر، وكانت تتغير هذه البراهين المادية أو المعجزات كما كان يسميها الناس على حسب تخصص النبي أو الزمان الذي يعيش فيه.. إلخ ".

وفي هذا يقول الشيخ الدباغ في " الإبريز ":

(وكانت من جنس ذواتهم وما يتعلق بها فمنها من يوهب لهم بعد الكبر، ومنها ما يتربى مع ذواتهم في حال صغرهم إلى أن تظهر عليهم حال الكبر).

والناس في واقع الأمر لا يشبعون من الظواهر الفيزيقية: وإذا ساروا فيها مشواراً كبيراً طمعوا في المزيد منها، وكأنهم يريدون تلك الأرواح أن تعمل لهم عملهم، وتؤدي عنهم مشاقهم، أو كأن كل واحد منهم يبغي أن يكن مثل النبي سليمان عليه السلام يأمر الجن، فيطاع ويؤتى له بعرش بلقيس، فلقد ظل بنو إسرائيل يطالبون أنبياءهم كل يوم بآية فيزيقية وما اكتفوا ولا اقتنعوا بعد كل هذا العرض المستمر وقتلوهم، وعادوا إلى ضلالهم ومادتهم يعبدون..

لقد جاء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو يعلم وجود هذه العقدة في جهلة البشر مدركاً ما حدث لأخوته من الأنبياء السابقين.. وأراد أن ينأى بنفسه عن هذا المستوى الأدنى من الوساطة الروحية.. وألا يربط بينهما وبين الوساطة العقلية التي تأتي بالقرآن.. وأدرك أن ما قد يعلمه من ظواهر فيزيقية قد يلتبس على الكثيرين كأنه سحر أو شعوذة لا تمكث إلا القليل ولطالما رد طلباتهم هذه.

يقول الدكتور هيكل في كتابه " حياة محمد " :

(أراد الله أن تكون معجزة محمد معجزة إنسانية عقلية لا يستطيع الإنس والجن الإتيان بمثلها، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.. هذه المعجزة هي القرآن..).

وقد قال مثل هذا كثيرون من فلاسفة المسلمين ومفكروهم مثل ابن رشد والإمام الغزالي ومحمد عبده ورشيد رضا.. كما ينادي

الإمام الغزالي بطلب التقدم للحصول على العلم بالمبادرة لا لرؤية معجزة..

جاء في كتابه المنقذ من الضلال:

(فمن هذا الطريق أطلب اليقين بالنبوة لا من قلب العصا ثعباناً وشق القمر.. فإن ذلك لو نظرت إليه وحده ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر ربما ظننت أنه سحر وتخيل وأنه من الله إضلال فإنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء).

ويقول العالم الفريد ولاس في كتابه " المعجزات والروحية الحديثة " :

(إن المعجزة هي حدث مادي يقوم به عامل عاقل غير منظور ويؤدي إلى نتائج لا تفسرها القوانين المعروفة).

ويقول الإمام الشيخ محمد عبده في كتابه " رسالة التوحيد " عن المعجزة:

(المعجزة ليست من نوع المستحيل عقلاً).

ويذكر قدرة الله على كل شيء فيقول: فليس من المحال عليه أن يضع نواميس خاصة بخوارق العادات وغاية ما في الأمر أننا لا نعرفها ولكننا نرى أثرها على يد من اختصه الله بفضل من عنده.

ويقول في مقدمة كتابه " الإسلام والنصرانية "

(فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني، الذي يجري على نظامه الفطري، فلا يدهشك بخارق العادة ولا يغشى بصرك بأطوار غير المعتاد).

وجاء في كتاب " الإبريز "

ما كان معجزة لنبي يجوز أن يكون كرامة لولي.. كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة ♦ فقد تبين أن الخوارق المذكورة تكون أيضاً لغير الأنبياء فليست من أجزاء النبوة بحال).

وعلى كل فالنبي محمد صلوات الله وسلامه عليه ما كان ليقدم عمداً على عمل المعجزات أبداً، كما قدمنا من قبل، فلقد كان ذلك في أضيق نطاق وليس على الإطلاق للبرهان على نبوته، وإنما لأمور ضرورية وملحة اقتضت ذلك، ولم يكن لها حل آخر كما سنرى في تناولنا ذلك بعد وسبحان من أنزل هذا الكلام:

قال تعالى:{ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾} [العنكبوت: ٥١].

1ـ انشقاق القمر:

قال الله تبارك وتعالى:

قال تعالى:{ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾} [القمر: ١ - ٢].

ولقد وقعت هذه الآية المعجزة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ليؤكد الله عز وجل صدق نبوة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه نبي آخر الزمان المبشر به إذ كان أهل الكتاب يرددون للكفار والمشركين من أهل مكة، وما حولها أن آية انشقاق القمر الدالة على اقتراب آخر الزمان وقيام الساعة ستحدث في عهد نبي آخر وخاتم الأنبياء والمرسلين وليفحم الكفار والمشركين الطالبين لهذه المعجزة.. وجدير بالذكر أن الله جلا وعلا قد أخبر بوقوع

الانشقاق بلفظ الماضي، فيجب تحققه أما حمله على معنى سينشق كما يرى بعض المفسرين فهو بعيد للأسباب التالية:

أ) إن الأحاديث الصحيحة وما هو مروي في الصحيحين وغيرهما وما رواه جمع كثير من الصحابة كابن مسعود وغيره وقرأه حذيفة وقد إنشق القمر هي صريحة في الزمان الماضي وتدل على أنه وقع قطعاً.

ب) إن الطالبين لهذه المعجزة وغيرهم رأوها وأن الكفار منهم لما رأوها قالوا: هذا سحر وقال أبو جهل أيضاً هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا رأوا ذلك أم لا فأخبر أهل آفاق مكة أنهم رأوه منشقاً، وذلك لأن العرب يسافرون في الليل غالباً ويقيلون بالنهار.

ج) وفي المقالة الحادية عشر من تاريخ فرشته أن أهل مليبار في الهند قد رأوه أيضاً وأسلم أمير الديار التي كانت من مجوس الهند بعدما تحقق له هذا الأمر.

د) كما نقل الحافظ المري عن ابن تميمة أن بعض المسافرين أكد أنه وجد في بلاد الهند بناءاً قديماً مكتوباً عليه: " تم بناؤه ليلة انشق القمر ".

هـ) أكد رواد الفضاء الذي هبطوا على القمر انشقاقه وأعدت تقارير بذلك نقلتها الصحف ووكالات الأنباء كما تحدث عن ذلك تفصيلاً العالم الدكتور / زغلول النجار في أكثر من حديث تليفزيوني على الفضائيات.

* * *

2ـ جلب الماء

عن أنس بن مالك ☺ قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال: فرأيت الماء ينبع من أصابعه صلى الله عليه وسلم فتوضأ الناس حتى توضؤوا عن آخرهم) رواه مسلم. وهذه المعجزة صدرت بالزوراء عند سوق المدينة.

ويجدر الذكر هنا أن معجزة نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم قد حدثت في مواطن متعددة لأسباب كانت تمليها الضرورة القصوى فمن المعروف قلة وشح المياه في البيئة الصحراوية وشهدها أصحابه ♦ جميعاً، ولا يتسع المجال هنا لسردها جميعاً، ولكن سنكتفي بسرد القليل منها والمروية عن صحابته المقربين ♦ الذين شهدوا بأنفسهم ذلك:

عن جابر بن عبد الله ☺ قال:

عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس نحوه، فقال: مالكم؟، قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ أو نشرب إلا ما في ركوتك، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة، فجعل الماء يفور بين أصابعه، كأمثال العيون، وكان الناس ألفاً وأربعمائة). رواه البخاري.

وعن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك:

(وأنهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك، فغرفوا من العين بأيديهم، حتى اجتمع في شيء، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه فيه ويديه ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير فاستسقى الناس). رواه مسلم وأحمد في مسنده.

وفي حديث ابن إسحاق قال: فانهرق من الماء ماله حسن كمس الصواعق ثم قال صلى الله عليه وسلم :♂**يوشك يا معاذ أن طالت بك الحياة أن ترى ماههنا قد ملئ جنانا═.**

عن جابر ☺ قال:

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جابر ناد بالوضوء، وذكر الحديث بطوله، وأنه لم نجد إلا قطرة في عزلاء شجب، فأتى به النبي فغمره ونطق بشيء لا أدري ما هو، وقال: نادى بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة، وفرق أصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال: فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس بالاستسقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى).

وهذه المعجزة كانت في غزوة بواط وقد يجدر الذكر في هذا المقام أيضاً أن معجزة نبع الماء وتفجره من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم من تفجر الماء من الحجر كما وقع لموسى عليه السلام فقد يكون ذلك ليس بمستغرب أن يصدر من الحجر في الجملة حيث نشاهده الآن في كثير من بقاع الأرض، وأما من لحم ودم معجزة غير

مسبوقة لم يعهد بها من غيره صلى الله عليه وسلم.

* * *

3ـ تكثير الطعام:

ومعجزة تكثير الطعام ببركة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم مروية عن بضعة عشر صحابياً ممن شهدوها وروى ذلك عنهم المئات من التابعين ثم لا يعد بعدهم.. وأكثرها وردت في قصص ومجامع مشهورة أيضاً نسرد منها البعض القليل على سبيل المثال.. إذ لا يتسع المجال هنا كما تقدم ذكره لغير ذلك:

عن سلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب ♦ أنهم ذكروا مخمصة أصابت الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الأزواد.. فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك وأعلاهم الذي يأتي بالصاع من التمر فجمع على نطع وقال سلمة فخرزته كربضة العنز، ثم دعا الناس بأوعيتهم، فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه وبقي منه.

قال أبو هريرة ☺: " أصاب الناس مخمصة " مجاعة " فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل من شيء؟ قلت: نعم شيء من التمر في المزود، قال: فأتى به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة، ثم قال: ادع عشرة فيأكلوا حتى شبعوا، ثم عشرة كذلك حتى أطعم أفراد الجيش كلهم وشبعوا وقال: خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه، فقبضت على أكثر ما جئت به، فأكلت منه، وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر إلى أن قتل عثمان فانتهت مني فذهب).

عن أبي أيوب ☺ أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم زهاء ما يكفيهما من طعام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع

ثلاثين من أشراف الأنصار، فدعاهم فأكلوا حتى تركوا، ثم قال: أدع ستين فكان مثل ذلك ثم قال: أدع سبعين فأكلوا حتى تركوه، وما خرج منهم أحد، حتى أسلم وبايع، قال أبو أيوب ☺ فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلاً..

عن أنس بن مالك ☺ **أن النبي** صلى الله عليه وسلم أطعم ثمانين رجلاً من أقراص شعير جاء بها أنس تحت يده أي إبطه.

عن سمرة بن جندب:

أتى النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم، فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون.

وعندما كان النبي والمسلمون جياعاً وهم يستعدون لموقعة الخندق يقول جابر: (جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج فقلت: طعيم لي فقم أنت يا رسول الله، ورجل أو رجلان قال: كم هو؟ فذكرت له قال: كثير طيب قال: قل لها، لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى أتى فقال قوموا فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخلت على امرأتي قلت: ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، فقالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والتنور، إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا، وبقي بقية، ثم قال لي: كل هذا وأهد، فإن الناس أصابتهم مجاعة).

وعن جابر أيضاً في دين أبيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء أبيه

أصل ماله فلم يقبلوه. ولم يكن في ثمر حديقته كفاف دينهم فجاءه النبي بعد أن أمره بجزها، وجعلها بيادر في أصولها، فمشى فيها ودعا، فأوفى منه جابر غرماءه، وفضل مثلما كانوا يجدون كل سنة.

عن عبد الرحمن بن أبي بكر ☺ قال:

كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه دجن صاعاً من طعام، وصنعت شاة فشوى سواد بطنها قال: وايم الله ما في الثلاثين ومائة، إلا وقد حز له حزة ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون، وفضل في القصعتين فحملته على البعير.

عن على بن أبي طالب ☺ أن زوجته فاطمة الزهراء طبخت قدراً لغذائهما ووجهت علياً إلى أبيها النبي عليه الصلاة والسلام ليدعوه ليتغذى معهما فأمرهما النبي فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له عليه الصلاة والسلام ثم لعلي ثم لها ثم رفعت القدر وأنها لتفيض قال: فأكلنا منها ما شاء الله.

وعن جابر أن الناس اشتكت للنبي الجوع فقال:

(عسى الله أن يطعمكم فأتينا سيف أي سيف البحر فزخره البحر زخرة فألقى دابة فأورينا على شقها النار فأطبخنا واشتوينا وأكلنا حتى شبعنا).

ويقول الإمام الغزالي في مسائل جلب الماء وتكثير الطعام عند النبي صلى الله عليه وسلم **في كتاب " إحياء علوم الدين "** :

وأطعم النفر الكثير في منزل جابر وفي منزل أبي طلحة ويوم خندق ومرة أطعم ثمانين، من أربعة أمداد شعير وعناق " وهو ابن الماعز " فوق العتود.. ومرة أكل أكثر من ثمانين رجلاً من أقراص

شعير حملها أنس في يده، ومرة أكل الجيش، من تمر يسير، ساقته بنت بشير في يدها، فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك، وفضل لهم ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام، فشرب أهل العسكر كلهم، وهم عطاش وتوضؤوا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه السلام يده فيه، وأهرق عليه السلام وضوءه في عين تبوك، ولا ماء فيها ومرة أخرى في بئر حديبية، فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش، وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة، ولم يكن فيها قبل ذلك ماء، وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب ☺ أن يزود أربعمائة راكب ممن كان في اجتماعه، كربضة البعير، وهو موضع بركوة فزودوهم كلهم منه وبقى منه فحبسه).

ونلاحظ فيما تقدم أن النبي صلوات الله وسلامه عليه قد حصل أولاً الماء القليل أو الطعام القليل، ثم كثره ببركة الدعاء لله، وبإذن الله تبارك وتعالى ليعلم أصحابه، وتابعوه ومن بعدهم المؤمنين بدعوته ورسالته أن الموجد هو لله عز وجل وإنما حصلت البركة بسبب دعاء النبي لخالقه العظيم الذي لا نجاة إلا به ولا ملاذ إلا إليه.. واستجابة المولى عز وجل لهذا الدعاء.. ليؤكد للمؤمنين كرامة هذا النبي وصدق نبوته ودعوته ورسالته..

وهو أيضاً ما تم مع الأنبياء من قبله.. كما يظهر من معجزة إيليا عليه السلام في استجابة الله سبحانه وتعالى له في تكثير الدقيق والزيت في بيت امرأة أرملة طبقاً لما ورد في سفر الملوك الأول / الإصحاح 17. ومن معجزة أيسع عليه السلام في تكثير عشرين خبزاً من شعير وسنبل مفروك في منديل حتى أكل مائة رجل

وفضل، كما ورد في سفر الملوك الثاني / الإصحاح الرابع.

ومن معجزة المسيح عليه السلام في استجابة المولى عز وجل لدعائه في تكثير خمسة أرغفة وسمكتين طبقاً لما ورد في إنجيل متى الإصحاح الرابع عشر: (فقالوا ليس عندنا أكثر من خمسة أرغفة وسمكتين.. لأنهم كانوا نحو خمسة آلاف رجل... فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء، وباركهن ثم كسر، وأعطى التلاميذ ليقدموا للجميع فأكلوا وشبعوا جميعاً).

هذا ويقول علماء الروح أن جلب الماء والطعام وتكثيرها يكون بناء على قانون روحي، إذ هو يوضع، ويعد أولاً على هيئة أثيرية غير منظورة ثم بمساعدة الروح، يمكن تكثيفه إلى هيئة مادية للإنسان أن يتحسسها ويشربها أو يأكلها... إلخ.

ويقول الشيخ الجبلي في " الإنسان الكامل " عن التجلي وهو ما يطلق عليه الروحانيون " الوساطة ":

(ومن هذا التجلي.. جعل القليل كثيراً والكثير قليلاً إلى غير ذلك من الخوارق).

* * *

4ـ سقوط المطر

عن أنس ☺ قال:

(أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو يخطب يوم جمعة، إذ قام رجل فقال: يا رسول الله، هلكت الكراع، وهلكت الشاة فادع الله يسقينا فمد يده ودعا).

ويكمل أنس:

(وإن السماء لمثل الزجاجة، فهاجت ريح أنشأت سحاباً، ثم اجتمع ثم أرسلت السماء عزاليها، فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا، فلم تزل تمطر إلى الجمعة الأخرى، فقام إليه ذلك الرجل أو غيره فقال: يا رسول الله تهدمت البيوت، فادع الله يحبسه فتبسم، ثم قال:♂**حوالينا ولا علينا**═ فنظرت إلى السحاب، وقد تصدع حول المدينة كأنه إكليل).

وفي حديث عمر بن الخطاب ☺ في جيش العسرة، ذكر ما أصابهم من العطش، حتى أن الرجل ينحر بعيره، فيعصر فرثه فيشربه، فرغب أبو بكر النبي في الدعاء، فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعها، حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر.. ".

وقال ابن هشام عن ابن إسحاق واصفاً حادث سقوط المطر في غزوة تبوك:

♂ودعا رسول الله حين دعا فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس═.

ويعقب الدكتور هيكل في كتابه " حياة محمد ": على اختلاف الروايات في قصة هذا الأمطار فيقول: (هذا الاختلاف في الواقع يجعل تأكيدها والقطع بها أمراً غير ميسور في العلم).

ولو كان طال العمر بالدكتور هيكل رحمه الله إلى أيامنا هذه لأيقن أنه بني رأيه هذا على أساس خاطئ، ولاعتذر يقيناً عن هذا.. فلقد أصبحت الأمطار الصناعية ممكنة اليوم ونسمع عن نجاح تجاربها في أمريكا ودول الخليج العربي وجنوب شرق آسياً.. وغيرها.. وما يعمله العلم الكلاسيكي تعمله الروح على نطاق أوسع بكثير.. فالوساطات الروحية المختلفة ما هي إلا عرض لقدرات علمية فوق مستوى العلماء الكلاسيكيين بكثير.. كما أنه ثبت يقيناً وتجريبياً أن الكثير من الظواهر الفيزيقية يمكن إحداثها بالصلاة والدعاء للخالق العظيم العلي القدير سبحانه وتعالى.

* * *

5ـ معجزات أخرى

عن ابن عمر ☻ قال:

(كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه إعرابي فقال:♂**يا أعرابي أين تريد؟**ـــ قال: أهلي: قال:♂**هل أدلك إلى خير؟**ـــ قال: وما هو؟ قال:♂**أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله**ـــ قال: من يشهد لك على ما تقول؟ قال:♂**هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي. فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً، فشهدت كما قال ثم رجعت إلى مكانها**ـــ.

وعن ابن عباس ☻ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **لأعرابي:**

(أرأيت أن دعوت هذا العزق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم فدعاه حتى أتاه، فقال: ارجع. فعاد مكانه).

وعن جابر ☺ :

♂**كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل وكان** صلى الله عليه وسلم **إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له لمنبر سمعنا لذلك الجذع صوت كصوت العشار**ـــ.

وفي رواية أنس بن مالك ☺ :

♂**حتى ارتج المسجد لخواره**ـــ.

وفي رواية سهل:♂**وكثر بكاء الناس لما رأوا ما به**ـــ.

وفي رواية المطلب:

♂**حتى تصدع وانشق جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت**═.

وتروي كتب السيرة أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدث مع الغزال واشتكى إليه البعير، كما يروي لنا البخاري عن أعرابي يدعي أسيد بن حضير، جلس يقرأ القرآن فكلما قرأ أخذت فرسه تؤدي حركات غريبة.. فيقول البخاري: (بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكتت فقرأ فجالت الفرس فسكت فسكتت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف).

ثم يصف الإعرابي دهشته فيقول:

(فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل المظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها).

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:

♂**وتدري ما ذاك؟ قال: لا قال: تلك الملائكة دنت لصوتك**═.

ونجد هنا أن قراءة القرآن حضرتها كوكبة من الملائكة فرأتها الفرس لأنها تتمتع بالجلاء البصري ويبدو أن ابن حضير لم يرها إلا عند انصرافها، بعد أن أنهى قراءته، ولم يتبين شكلها الحقيقي، وكل ما رآه هو مظلة مضيئة ترتفع.. إذن ليس معنى جولان الفرس، أنها كانت تفهم القرآن، وإنما المعنى هو رؤيتها للملائكة كما فسر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك له..

ومنذ فجر التاريخ والقصص تحكي عن أناس يمكنهم التخاطب مع الحيوانات.. وقد جاء ذكر تلك الحقيقة في سورة النمل في القرآن الكريم عندما خاطب نملة النبي سليمان ففهم ما تقول:

قال تعالى:{وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾} [النمل: ١٦].

قال تعالى:{حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ} [النمل: ١٨ - ١٩].

وحتى يومنا هذا يوجد أناس من هذا القبيل.. فلقد أثبت علم الحيوان الحديث لكل حيوان أصوات وإشارات خاصة وبفهمها يمكن فهم ما يعنيه.. والأبحاث مستمرة وفي تقدم كبير في الدول المتقدمة حالياً.. هذا من ناحية العلم.. أما من ناحية الوسطاء فيوجد منهم من يسمع أصوات الحيوان التي لا يسمعها الناس العاديون..

فمثلاً تقول لزلي كريلز في مجلة فيت أنه يمكنها أن تسمع غناء الفئران وتفهم لغة تخاطبها.. وتدرك شعور الحيوان من فرح وحزن..

وتقول العالمة إندرا ليفي في كتابها " اليوجالك " أن صديقاً يدعى ألين بون قال لها: أنه يوما فكر في أن يتخلص من النمل في منزله بواسطة رش مسحوق مبيد، ولكنه فكر في أن هذه المخلوقات ما هي إلا جزء من الحياة العظمى ولها الحق في الوجود.. وبعد تردد عزم على أن يكلمه قائلاً: أنه يحترم رغبته في حب الحياة، وأنه لن يقتله،

وإن مكانه الطبيعي في الحديقة أي في الخارج، ولهذا فهو يرجوه أن يخرج، وترك له يومين مهلة بعدها له الحق في اتخاذ ما يرى من إجراءات إذا لم يصغ إليه.. والذي حدث أنه بعد يومين اختفى النمل.

وتقول أيضاً أن بعض البوجيين: " لأنهم يتوافقون مع كل مخلوق حي يمكنهم أن يروضوا حتى النمور والحيوانات المتوحشة الأخرى ". وتقول: " ومنذ ذلك الوقت بدأت أتكلم مع كل الزواحف التي كان من بينها حية جميلة كنت وجدتها بين غرائب معبد قديم في كمبوديا ".

عن جابر ☺ أنه ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة، وأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل القوم وكان صلوات الله وسلامه عليه، ويقول لهم:♂**كلوا ولا تكسروا عظماً**— ثم أنه صلى الله عليه وسلم جمع العظام، ووضع يده عليها داعياً سبحانه وتعالى أن يحييها مرة أخرى، فإذا الشاة قامت تنفض ذنبها، وهنا قد نستطيع أن نتلمس مدى بركة دعاء الرسول، حينما يتوجه به إلى مرسله وخالقه العظيم، حتى فيما يتعلق بإعادة الحياة..

والمتتبع لسيرة الرسول يوقن بأن الله عز وجل لم يرد دعوة دعاه بها صلى الله عليه وسلم. إذا كان من المؤكد أن المعجزة الأولى والأساسية التي أوتي بها الرسول صلوات الله وسلامه عليه هي القرآن المجيد الموحي به من العلي القدير بالروح الأمين جبريل عليه السلام، على قلب رسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه، وهي معجزة عقلية بالدرجة الأولى، أنعم بها الله عز وجل على محمد وأمته الإسلامية والإنسانية جمعاء والعالمين وتحدى به الجن والإنس إلى قيام الساعة، أن يأتوا بسورة من مثله، ولو كان بعضهم لبعض

ظهيراً.. إلا أنه جل وعلا تبارك وتعالى أيضاً أنعم على رسوله صلوات الله وسلامه عليه بجمع عديد من المواهب الروحية لم تجتمع بهذا التكامل فيمن سبقوه من الأنبياء والمرسلين كما أنعم عليه أيضاً، وطبقاً لما تتطلبه الظروف وتمليه الضرورة بمعجزات حسية تفوق في مجملها، ما أوتي أي من سبقوه من إخوته الرسل والأنبياء.

* * *